تنبيه هام: هذا التفريغ ليس قابل للنشر، فلم يعتمد من الشيخ – حفظه الله– بعد، فمن وجد خطأً نرجو تنبيهنا عليه فوراً.

شَرْحُ كِتَابِ أَعْلَامُ السُّنَّةِ الْمَنْشُورَةِ لِلْحَكْمِيِّ

- رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى -

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ أسَامَة بْنُ عَطَايَا العتيبِي

-حَفِظَهُ الله تَعَالَى -





دروس معهد البيضاء العلمية

الدورة الثالثة

تفريغ: طالبات معهد البيضاء العلمية

١٤٣١هـ - ١٤٣٢هـ





بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[3]

أما بعد،

فإنّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد – صلى الله عليه وسلم– وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فما زلت معكم في التعليق على كتاب أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة المعروف بمائتي سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية للشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي – رحمه الله تعالى – المتوفى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية.

ووصلنا إلى السادس بعد المائتين

[1] ـ آل عمران :١٠٢
[2] ـ النساء :١
[3] ـ الأحزاب : ٧٠-٧١



[المتن]

في الواجب التزامه في أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفي أهل بيته

فقال – رحمه الله–: سلامة قلوبنا وألسنتنا لهم ونشر فضائلهم والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم، والتنويه بشأنهم كما نوه تعالى بذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن وثبتت الأحاديث الصحيحة في الكتب المشهورة من الأمهات وغيرها في فضائلهم

وسبق الحديث عن هذا الجزء من كلامه في الدرس الماضي.

ثم ذكر – رحمه الله تعالى – ما يدل على ما بينه من منهج أهل السنة والجماعة في حق أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عددا من الآيات وبدأ بقول الله –جل وعلا – قال الله –عز وجل– :

مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ
فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ
عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ[١]

[الشرح]

فهذه الآية العظيمة وهي الآية التاسعة والعشرين من سورة الفتح، ختم بها –رب العزة والجلال– السورة العظيمة التي كانت مبشرة بفتح مكة وواصفة ما حصل من الصلح بأنه فتح لما سببه من فتوحات بعده ،فقد حصل بسبب الصلح أن دخل كثير من الناس في دين الله، وتهيئوا لسماع القرآن، وسماع دين الإسلام فهدى الله –عز وجل– خلقا كثيرا ودخلوا في الإسلام في مدة هذا الصلح، كذلك كان وسيلة لتفرغ النبي –صلى الله عليه وسلم– لقتال اليهود بخيبر و تيماء، وفتح الله –عز وجل– لرسوله هذه المدن كذلك كان تهيئة لمراسلة الملوك ورؤساء العالم، ليدعوهم للدخول في الإسلام فأرسل إلى كِسْرَى عظيم الفرس، وأرسل إلى هِرَقل عظيم الروم، وأرسل إلى المقوقس حاكم مصر، وأرسل إلى

[١] الفتح: ٢٩

النجاشي حاكم الحبشة، وأرسل إلى ابني الجلندي في عمان، وراسل غيرهم لدعوتهم إلى الإسلام مستفيدا من مدة هذه الهدنة، ثم ما تسببت به هذه الهدنة من فتح مكة

- **وقت نزول سورة الفتح:**

هذه السورة العظيمة التي أنزلها رب العزة والجلال على النبي محمد – عليه الصلاة والسلام – وهو عائد من الحديبية وبشر بها عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وبشر بها جميع الصحابة

- **سورة الفتح فيها تزكية وثناء على الصحابة:**

وفيها تزكية عظيمة لأصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– في عدد من المواضع من هذه السورة ففيها الثناء على أصحاب رسول – صلى الله عليه وسلم – جميعا، كذلك فيها الثناء على أصحاب شجرة بيعة الرضوان تخصيصا، كذلك فيها فضح للمنافقين وبيان لما يحصل أو فيه ذكر أو إشارة إلى ما سيحصل من حروب الردة وقتال أبي بكر الصديق – رضي الله عنه– ومن معه للمرتدين ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾[1]

ما في جزية إما قتال وإما الإسلام وهذا في حروب الردة إذًا أثنى الله –عز وجل– على أصحاب الرسول –عليه الصلاة والسلام– من أول السورة فقال ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]

- **من هؤلاء المؤمنون في الآية؟**

من هؤلاء المؤمنون الذين تتحدث عنهم هذه الآية إنهم أصحاب رسول الله – عليه الصلاة والسلام – إنهم رسول الله وأصحابه ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي

[1] الفتح: ١٦
[2] الفتح: ١-٤

﴿ حَكِيمًا ﴿٤﴾ قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ إذا

هذه السورة فيها تزكية لأصحاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – تزكية لمن جاهد مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – من الصحابة ذكر فضائل هؤلاء القوم الذين اصطفاهم الله واختارهم لنصرة خير أنبيائه ورسله – صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم–.

- بيان صفة أصحاب الرسول:

وهذه الآية التي ذكرها الشيخ حافظ –رحمه الله– وهي آخر آية في سورة الفتح فيها بيان صفة أصحاب الرسول –صلى الله عليه وسلم– في التوراة والإنجيل والقرآن، القرآن وصفهم بأوصاف عديدة ولكن في التوراة والإنجيل هناك مثلان ذكرهما الله –جل وعلا– وقبل ذكر المثلين يقول الله:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ فوصفه بوصف الرسالة وصرح باسمه فهو مرسل من عند الله مصطفى ﴿ مَعَهُۥٓ ﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ وهم أصحابه من المهاجرين والأنصار فوصفهم بأنهم معه.

- **أنواع المعية وبيان المعية المقصود بها في الآية:**

والمعية هنا مع كونها معية المكان والزمان حيث إنهم كانوا معه في جهاده وحروبه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا وكانوا معه في بلده في المدينة وإن كان بعضهم خارج المدينة فهذا معه إنما هو بالنصرة والتأييد لأن المعية إما معية علم وإحاطة أو معية نصرة وتأييد وأحيانا يكون الذي معه في مكانه وأحيانا لا يكون معه في المكان

﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾

- **وصف الصحابة في التوراة والإنجيل:**

إذا هؤلاء أصحاب رسول الله – عليه الصلاة والسلام – وصفهم الله – جل وعلا – في القرآن في آيات عديدة لكن وصفهم في هذه الآية بوصف ذكره في التوراة والإنجيل، فالوصف الأول الذي في التوراة أنهم

أشداء على الكفار أي أنهم يجتهدون في نصرة رسول الله –صلى الله عليه وسلم – في قتاله للكافرين ويبذلون كل ما يملكون، يبذلون أشدهم كذلك هم أهل غلظة وشدة على الكفار لإذلالهم وإعزاز المؤمنين فهؤلاء أصحاب رسول الله –عليه الصلاة والسلام– موصوفون في التوراة بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، شدتهم على الكفار في بابها لكن لا ينبغي أن تكون هذه الشدة علي أهل الإيمان لذلك هم رحماء بينهم يتحابون ويتعاطفون ويتراحمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فهم بينهم الرحمة والتآلف كما قال –سبحانه وتعالى–

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]

يعني متواضعين ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني أشداء ظاهرين فهكذا وصف أهل الإيمان في التوراة أنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم، وليس المقصود بأنهم أشداء على الكفار أن كل كافر ينبغي أن تكون مغلظًا عليه في جميع الأحوال، لكل مقام مقال، لكن الصفة العامة لأهل الإيمان في مقابلة أهل الكفر أنهم أشداء في الوصف العام بين المؤمنين أنفسهم أنهم رحماء بينهم، لكن إذا ارتكب الكافر ما يوجب التلطف معه فإنه يتلطف معه كمن يكون معاهدًا، كمن يكون ذميًا، كمن يكون سفيرًا، كمن تريد دعوته للإسلام ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[2] كذلك رحماء بينهم والمؤمن إذا حصل منه ما يوجب الشدة عليه والإغلاظ إذا ارتكب معصية فهذا أمر مشروع لكن الصفة العامة أنهم أشداء على الكفار وأنهم رحماء بينهم فالذي يوصف بالشدة على الأوصاف التي هي وصف الكفار أو ما فيه مشابهة للكفار هذه صفة مدح لذلك كان السلف يثنون على الشخص بأنه شديد على أهل البدع، شديد علي أهل المنكرات، فوصف السلفي بأنه شديد على أهل البدع بأنه شديد على أهل الانحراف فهذه صفة مدح عند السلف، لذلك إذا وصف عالم من علماء السنة بأن فيه شدة على أهل الانحراف

[1] المائدة: ٥٤
[2] طه: ٤٤

والمخالفين لمنهج السلف فهذه صفة مدح، أحيانًا قد يقولها العالم أن فيه شدة يقصد أنه في بعض الأحوال يري هذا العالم أن الترفق مع أولئك القوم أولى؛ قوم معينين أناس معينين؛ يظن أنهم بالرفق وبالأسلوب الأخف أنهم يكون لهم ذلك أكثر فائدة، وهذه مسألة اجتهاد في تحقيق المصالح والمفاسد ترجع إلى اجتهاد العالم والخلاف (..) أن يُشتد مع فلان فشدته قد تكون في رأي عالم آخر ليست في محلها ورفقه في مكان قد لا يكون في نظر عالم آخر في مكانه لكن هذا عالم اجتهد وهذا عالم اجتهد ما دام أن المسألة خاضعة للاجتهاد ليست مخالفة للنص ليست مُخالفة للدليل، ليست مُخالفة لما عليه أهل العلم، الراجح عند أهل العلم.

- **مثال للشيخ الألباني:**

فمثلاً شيخنا الألباني –رحمه الله– مثلاً كانت عنده شدة على الشيخ إسماعيل الأنصاري أو على الشيخ محمود التويجري –رحمهما الله جميعًا – فبعض العلماء يرى أن هذه الشدة ليست في محلها، شيخنا يرى أن الشدة في محلها ويتابعه آخرون على هذه الشدة في وقتها، إذًا المسألة هنا خاضعة للاجتهاد ولا يأتي أحد ويعطي للشيخ الألباني –رحمه الله– حكمًا عامًا أنه شديد أو فيه شدة ليقدح فيه.

- **مدح السلفي الشديد على المُخالفين:**

بل وصف السلفي بأن فيه شدة على المُخالفين لمنهج السلف، على أهل الانحراف، أو من يظن أنه من أهل الانحراف، فهذا أمر محمودٌ، يحمد عليه صاحبه ويمدح لا يذم، إنما تذم الشدة في غير موضعها، خاصة مع وجود الدليل المُبَين أنه لا مبرر لهذه الشدة، والحمد لله نحن نعرف مشايخنا أنهم أهل إيمان وصدق، فيما نحسبهم كذلك، ولا نزكي على الله أحدا، وأنهم يجتهدون في تحقيق طاعة الله وطاعة رسوله –صلى الله عليه وسلم– فإذا شدوا على إنسان أو على جماعة أو على قوم فإنما يرون أن هذا هو الأنسب وهو الأصلح فيُشكرون على كل حال، أهل السنة يحترمون علمائهم، ويعرفون لهم منزلتهم وقدرهم، ولا يشكون في أفعالهم، ولكن قد يُخطئ العالم، ويُرد خطئه لكن لا يُتخذ هذا ذريعة للطعن فيه، كما يفعل بعض أهل البدع أو ما يفعله أهل البدع عمومًا فأهل الإيمان موصوفون أنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، وهذا وصف أصحاب الرسول – عليه الصلاة والسلام – في التوراة.



[المتن]

كذلك يقول –رب العزة والجلال– في ذكر وصفهم



[١]

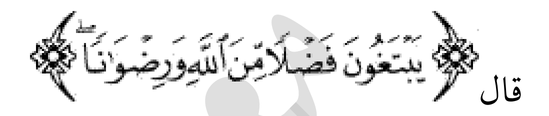
[الشرح]

أي أنهم أصحاب صلاة، أي أنهم يحافظون على الصلوات المفروضة، وأنهم يكثرون من أداء النوافل، هذه صفة أصحاب رسول الله –عليه الصلاة والسلام– وهذا معروف من حالهم، فكانوا محافظين على الصلاة، وكانوا مُحافظين على الرواتب، وكانوا يتنفلون على رواحلهم في السفر مثل الرسول –عليه الصلاة والسلام– وكانوا يأخذون من الليل ما يأخذون مثل ما كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يفعل فيقتدون به في أعماله في أقواله، بل بعض الصحابة – رضي الله عنهم – أرادوا أن يزيدوا في الأعمال على ما كان يعمله الرسول –صلى الله عليه وسلم– حتى سألوا، بعض الصحابة سأل عن عبادة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في بيته فأخبرنهم أزواج النبي – عليه الصلاة والسلام – بعبادته، فكأنهم تقالوها وقالوا إن الرسول – صلى الله عليه وسلم – غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّر، لذلك يعني يرون أنه يكثرون منه، فقال بعضهم أَنَا أَصُومُ وَلاَ أُفْطِرْ، يعني سألوا عن صيام النبي – عليه الصلاة والسلام – ما كان يواصل الصيام الشهر والشهرين والثلاثة، لا، كان يصوم ولكن لا يُحفظ أنه صام شهراً كاملاً، فقالوا هذا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم – قد غفر له ما تقدم من ذنبه فقال شخص أَنَا أَصُومُ وَلاَ أُفْطِر وَالثَّانِي قَالَ أَنَا أَقُومُ وَلاَ أَرْقُد، يعني أنه طول الليل قائم، الرسول – صلى الله عليه وسلم – يقوم وينام، هذا قال أنا أريد أن أقوم ولا أنام، وَالثَّالِث قَالَ أَنَا لاَ أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّج، يريد أن يتبتل مثل ما كان عيسى عليه السلام لم يتزوج، قال يعني متبتل لا يتزوج، فالنبي – عليه الصلاة والسلام – لما بلغه ذلك قال: ((أَمَا

---

١ ـالفتح:٢٩

إِنِّي أَخْشَاكُم لله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ وَإِنِّي لأَصُومُ وَأُفْطِر وَأصَلِّي وَأرْقُدُ وَأتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)) فصارت هذه المبالغة في التعبد من البدع والمحدثات بدل أن يكون من الأمور المقربة إلى الله، نبه النبي –صلى الله عليه وسلم– على هذا، فاستجاب أولئك الصحابة خير استجابة –رضي الله عنهم وأرضاهم– فأصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام من وصفهم أنهم يكثرون الصلاة الفرائض في وقتها ويتنفلون وذلك ذكر الركوع والسجود لأنهما أعظم ركنين في الصلاة.

قال 

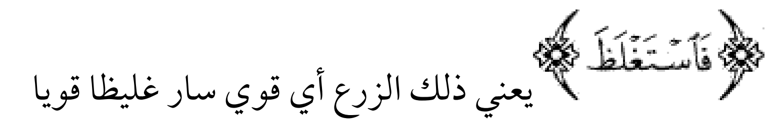
يعني أنهم حسن القصد حسن النية لا يقصدون بصلاتهم رياءً ولا سمعه بل يبتغون فضلا من الله بأن يدخلهم الجنة وأن يكثر حسناتهم وأن يرضى عنهم ورضوانا،هذا هو مرادهم.

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ فأثر العبادة قد ظهرت على وجوههم نيرة مضيئة مشرقة من أثر السجود لا سواد فيها هذا هو المقصود بالسيمة عند جميع السلف، فاستنارت وجوهم وأضاءت بسبب صفاء سرائرهم وإزهار قلوبهم فقلوبهم مضيئة فلما أضاءت قلوبهم بالإيمان أضاءت وجوههم لأن الباطن الصالح يخرج أثره في الظاهر الصالح والقلب الأسود الباطن الأسود السيئ يظهر ظاهره الوجه الأسود والعمل الأسود فهذا دليل عند أهل السنة والجماعة لارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، فهؤلاء الصحابة لما صفت سرائرهم لما صلحت قلوبهم لما أدوا ما فرض الله عليهم ظهرت آثار إيمانهم في وجوههم فالمقصود بالسيمة هنا النور الذي في الوجوه الصفاء النضرة التي على وجوههم وليس المراد أثر السجود الذي في الجبهة فهذا قول لم يقل به أحد من العلماء من السلف بل هذا قول محدث إنما المراد بالسيمة هنا العلامة في الوجه.

قال الله –جل وعلا– ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ أما ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ﴾ فقال ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ﴾ أخرج شطئه يعني: أخرج أفراخه التي تكون حول الزرع أفراخ صغار بنفس الزرع وهذه الأفراخ تشد من أزر ساق هذه الشجرة وأصل هذه النبتة فآزاره أي أخرج أفرخه



فوزارته فراخه في الثبات والاستواء كما قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله .



﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ يعني ذلك الزرع أي قوي سار غليظا قويا

﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ أي ارتفع قام واستقام أي قوي واستقام

﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ يعني على أصوله الساق الشجرة أصلها فسار قويا. ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ الذين زرعوا هذا الزرع، فهذا مثل أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام في الإنجيل أنهم مثل الشجرة التي حولها أفراخها فيقوونها ويؤازرونها ويناصرون رسول الله– صلى الله عليه وسلم– ويناصرون هذا الدين حتى استقام هذا الدين وقوي وأعجب المؤمنين انتصار المسلمين وعلو شأن الإسلام وانتشاره وظهوره على أعدائه.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ يعني ليغيظ بهؤلاء الصحابة الكفار، استدل بها الإمام مالك رحمه الله تكفير من يبغض الصحابة، لأن الذي يغيظه أحد من أصحاب الرسول الله –صلى الله عليه وسلم– هذا كافر فالذي يكره الصحابة ويبغضهم ويغتاظ من الصحابة هذا كافر لأن الله –جلّ وعلا– قال ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾

[المتن]

ثم قال رحمه الله تعالى: و قَالَ تَعَالَى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[١]

[١] الأنفال:٧٤



[الشرح]

فوصف أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام بأوصاف هي من أحسن الأوصاف وأعظم العبادات

فأصحاب الرسول –صلى الله عليه وسلم– ﴿ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾ في سبيل الله وهجروا أوطانهم وتركوا ديارهم وأموالهم في سبيل نصرة هذا الدين.

قال: ﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ بأنفسهم، بأموالهم، بما يستطيعون فهؤلاء الصحابة بذلوا قدرتهم في نصرة هذا الدين.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ يعني الذين ما هاجروا لكن آمنوا وجاهدوا لكنهم ما هاجروا لأنهم هُوجر إليه وهم أهل المدينة، الأنصار، فهم لهم أجر النصرة فمرتبة النصرة حصّلها أهل المدينة، حصلها الأنصار وهكذا من كان يأوي إليه أهل الإيمان ويهاجرون إلى أهل بلده فعليه أن ينصرهم وأن يؤيدهم وأن يقوم في خدمتهم وأن يتعاون معهم في البر والتقوى فأهل الإيمان يحترم بعضهم بعضا فالمهاجر الذي هجر وطنه وهجر ماله ابتغاء الأجر والثواب كذلك من هاجر إليه هذا المسلم المؤمن الصادق فإنه عليه أن يبذل ما يستطيع لنصرته لإيوائه لمساعدته يعني ليس من طبع أهل الإيمان أن يتخل بعضهم عن بعض أن يهاجر لبلد الإسلام للعيش فيها فنرى أن أكثر الناس نفسي، نفسي لا يهتم بهم ولا يسعى في نصرتهم ولا في مساعدتهم والذي ينبغي أن يحتسب الإنسان الأجر في ذلك وأن يساعدهم ويؤويهم وينصرهم على قدر طاقته.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الصحابة الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا وآووا ونصروا هؤلاء المهاجرين وصفهم الله عز وجل بالإيمان الحق الصادق الذي يستحقون به دخول الجنة في أول وهلة وأيضا غفر الله لهم ورزقهم رزقا كبيرا وفتح لهم البلدان فاتسعت رقعة بلاد المسلمين وكثرت أموال الصحابة رضي الله عنهم بعد أن كانوا فقراء لا يجدون الطعام.

[المتن]

قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)﴾[١]

[الشرح]

- **الوصف الأول:**

أيضا مما أثنى الله –عزّ وجلّ– به على الصحابة أنهم قد رضي عنهم وقد رضوا عنه وأنه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا الْفَوْزُ﴾ فوعد هؤلاء المؤمنين الصادقين بالثواب الجزيل والرضا الأكيد

- **الوصف الثاني:**

لكن ما هو الوصف الذي استحقوا به هذا الأجر؟ حيث إنهم سابقوا إلى الدخول في الإسلام فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ فكانوا مسابقين إلى الدخول في الإسلام واتباع محمد –صلى الله عليه وسلم– ونصرته فاستحقوا المدح بسبب سرعة استجابتهم لهذا الدين، أيضا هاجروا في سبيل الله من بلاد الكفر إلى بلاد الإيمان

- **الوصف الثالث:**

كذلك ذكر وصفا شريفا ثالثا وهو وصف ماذا؟ النصرة، و: ﴿وَالْأَنصَارِ﴾

فهذه ألفاظ شريفة وصف بها رب العزة والجلال أصحابه أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–

[١] التوبة:١٠٠

أولا: أنهم سابقون الأولون سابقون في الدخول في الإسلام في الدخول في الإيمان.

ثانيا: أنهم هاجروا.

ثالثا: أنهم ناصروا المهاجرين.

وهكذا كل من كان اتصف بهذه الصفات فهي صفات مدح في الشرع الذي يهاجر في سبيل الله والذي يناصر أهل الهجرة يناصر أهل الإيمان يناصر أهل الصدق قال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ ليس هذا الأمر متعلقا فقط بالصحابة – رضي الله عنهم- الذين كانوا من الأوائل ومن المهاجرين والأنصار بل حتى الذين دخلوا في الإسلام بعد فتح مكة حيث انتهت الهجرة فهؤلاء الذين آمنوا وأسلموا بعد فتح مكة هم من التابعين لهم بإحسان مادام أنهم سلكوا سبيل السابقين الأولين من الصدق في الإيمان وعمل الصالحات فالذين اتبعوهم بإحسان، رضي الله عنهم ورضوا عنه ونسأل الله –عز وجل- أن نكون ممن يدخل في هذا اللفظ وهو التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة لكن أول التابعين هم الصحابة الذين أسلموا بعد فتح مكة هم الذين أسلموا بعد فتح مكة هم أول التابعين الذين ثبت لهم الرضا من الله –جل وعلا- وفي الحكم يدخل من كان على طريقتهم فوصفهم بوصف الإتباع وهكذا أهل السنة أهل إتباع وابتعاد عن الابتداع.

[المتن]

ثم قال: وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[1]

[الشرح]

[1] التوبة: ١١٧



فهذه الآية نزلت في غزوة تبوك تعرفون سورة براءة وما ذكر فيها وما سميت به وما اشتملت عليه من الآيات تحدثت في كثير منها عن غزوة تبوك يقول الله: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ يعني اتبعوا نبي الله ﴿فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ في ساعة المشقة في ساعة الحر الشديد وضيق ذات اليد وحصول يعني الفواكه يعني ظهر نضوجها فالنفس تكون متطوقة إلى الجلوس وعدم السفر ومع ذلك فهؤلاء اتبعوا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لما دعاهم إلى الغزو إلى غزو الروم قال: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ من بعد ما كاد بعض الناس أن يزيغ قلبه لكن الله -عز وجل- ثبتهم والله -عز وجل - نصرهم وأيد بهم وأيدهم بنصره ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فهذه الآية تبين أن الله -عز وجل- قد تاب توبة شاملة كاملة على جميع أصحاب الرسول- صلى الله عليه وسلم- من المهاجرين والأنصار بسبب إتباعهم للرسول - صلى الله عليه وسلم- وفي أحلك الظروف ووصفهم بوصف الهجرة والنصرة وهي ألفاظ شريفة وأيضا وصف الإتباع للرسول- صلى الله عليه وسلم- وهو لفظ شريف فلذلك ينبغي لنا أن نكون متبعين لنهج هؤلاء السلف سالكين طريقتهم في تأييد الدين وفي هجران المعاصي الذنوب ومن كان يستطيع أن يهاجر إلى بلد الإسلام ممن يقطن في بلد الكفر فهذا له الأجر العظيم.

وقال الله- جل وعلا- ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾[1] فوصفهم بأنهم مهاجرون فقراء لكنهم هاجروا في سبيل الله وتركوا أموالهم وديارهم.

قال: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ هذه صفت الصحابة -رضي الله عنهم - أهل إخلاص وأهل إتباع لاحظوا في أكثر من آية أهل إتباع وأهل إخلاص، أهل صدق وهذان شرطا قبول العمل، الإخلاص

[1] الحشر: ٨



والمتابعة، قال الله ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ الفضل من الله بأن يتوب عليهم بأن يعطيهم الجنة و رضوانا ليحل عليهم رضوانه في الدنيا والآخرة، قال ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ من صفات هؤلاء الصحابة أنهم ينصرون الله ورسوله، أولئك المهاجرين الذين نصروا الله ورسوله هم الصادقون في نصرتهم وفي إيمانهم.

قال ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[١] يعني الذين تبوؤوا الدار والإيمان وصاروا، يعني تبوؤوا وسكنوا في المدينة وهم الأنصار الذين وصفهم الله –جل وعلا– بقوله ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ والمراد بالدار هنا المدينة ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فيذكر الله –عز وجل– في هذه الآية وصف الأنصار الذين اتصفوا بهذه الصفات الجليلة –رضي الله عنهم وأرضاهم– و كانوا سابقين في سكنى هذه البلاد، تبوؤوا دار الهجرة و الإيمان ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ فهم سكنوا طبعا في المدينة قبل الذين هاجروا لأنّ هذا وطنهم لأنها وطنهم، "فتبوؤوا" المراد بالدار هنا المدينة والإيمان من قبلهم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ فبعض الصحابة –رضي الله عنهم– الذين كانوا من أهل المدينة قد أسلموا قبل المهاجرين، قبل بعض المهاجرين، فليس كل المهاجرين أسلموا قبل الأنصار، بعض الأنصار آمنوا وبايعوا الرسول –صلى الله عليه وسلم– قبل دخول بعض المهاجرين في الإسلام، هذا معنى ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾

[١] الحشر: ٩

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ من أصحاب رسول الله عليه الصلاة و السلام سواء أسلموا بعدهم أو قبلهم.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ يعني ليس عندهم حسد، ليس عندهم حقد، ليس عندهم أي موجب إلى أن يكون في قلوبهم شيء على أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام بسبب أنهم آمن بعضهم قبلهم أو أنهم هاجروا ورزقهم الله ثواب الهجرة و فضلهم بهجرتهم.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فإنهم يؤثرون على أنفسهم ويعطون المهاجرين من طعامهم ومن مالهم لأجل أن يرتاح إخوانهم من المهاجرين ولأجل أن يكون إخوانهم في أحسن حال مع أن جرت العادة أن الإنسان الذي يفضل عليه غيره أنه لا يسعى في تفضيله أكثر بل يسعى أن يكون هو عنده من الفضل ما يدركه به، لكن هؤلاء يتنازلون حتى عن طعامهم، عن شرابهم لأجل أصحاب رسول الله –عليه الصلاة والسلام– وهكذا أصحاب الرسول –صلى الله عليه وسلم– كانوا يؤثرون على أنفسهم فيبعثون للرسول –صلى الله عليه وسلم– الطعام ويدعون الطعام وهم في حاجته لأجل رسول الله –عليه الصلاة والسلام– أو لأجل أضياف رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[المتن]

قال: وغيرها كثير

[الشرح]

أي من الآيات الدالة على فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[المتن]

قال: ونعلم ونعتقد أن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: "اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ" وَكَانُوا ثَلَاثُمِائَة وَبضعة عشر

[الشرح]

الصحابة –رضي الله عنهم– على مراتب بعضهم أفضل من بعض كما سيأتي –إن شاء الله تعالى– في الكلام على التفضيل، من أفاضل الصحابة وأعلاهم شأنا الذين شهدوا بدرا من أصحاب رسول الله –عليه الصلاة والسلام– وغزوة بدر هي غزوة الفرقان فرق الله عز وجل فيها بين الحق والباطل فهذه الغزوة من حضرها فقد حصل له شأن عظيم والله –جل وعلا– كما قال –صلى الله عليه وسلم– وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فأهل بدر خير أصحاب رسول الله –عليه الصلاة والسلام– وخير أمة محمد كذلك الذين شهدوا بدرا من الملائكة هم أفضل الملائكة على الإطلاق كما قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس المراد بقوله: "اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ" أنهم يعملون الشرك فكيف يُتصور هذا وهم أهل الإيمان والتوحيد والذين بذلوا نفوسهم في نصرة هذا الدين العظيم وإنما من الذنوب والمعاصي التي ليس معصوما منها البشر والتي يفعلها الإنسان ويتوب فالإنسان إذا عصى الله –سبحانه وتعالى– وتاب، تاب الله عليه فالصحابة الذين شهدوا بدرا حتى لو وقعت من أحدهم كبيرة فهو قد غُفر له كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة –رضي الله عنه– لما حصل منه نوع من الموالاة للمشركين سمّى الله –عز وجل– فعله موالاة وهي حرام، ولكنه لم يكفره بذلك لأن الله قد غفر لأهل بدر ما فعلوا حتى لو فعل بعضهم كبيرة فإنه قد غفر الله له فكأنه لم يفعلها، فأهل بدر مغفور لهم وهذه خصيصة لهم عن غيرهم من الأمة والواقع يشهد أن أهل بدر كلهم كانوا على خير وماتوا على خير وحسنى ولا يُعلم لهم تبديل للشريعة وللدين أبدا بل هم أنصار الدين وحماة الشريعة –رضي الله عنهم وأرضاهم– وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر الذين حضروا تلك الغزوة وكانوا مسلحين معهم سيوفهم،

- كذب التبليغيين في الزيادات في قصة غزوة بدر:

يعني جماعة التبليغ ينشرون قصة بدر فيها بعض الزيادات المكذوبة كقولهم أنهم ما كان معهم إلا ستة سيوف وأنهم قاتلوا بالعصي هذا كلام فارغ من رؤوس التبليغيين الفارغة وإلا فأهل بدر كانوا مستعدين



لأجل أخذ القافلة بسلاحهم وعتادهم ولكن ما كان سلاحهم وعتادهم في لاستعداد كاستعداد المشركين الذين جاؤوا بألف منهم من صناديدهم وأقويائهم وفرسانهم لأجل إنقاذ القافلة ومحاربة محمد –صلى الله عليه وسلم– فأولئك كانوا مستعدين بحدهم وحديدهم وقضهم وقضيضهم أما أصحاب الرسول –صلى الله عليه وسلم– فكان استعدادهم متوسطا يسيرا يوافق الحال فهذا الفرق أما أن يقال ستة أسياف وهكذا من الكلام الفارغ فهذا مردود.

[المتن]

كذلك ذكر رحمه الله– قال: وبأنه لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة

[الشرح]

يعني أنه يدخل الجنة لأول وهلة بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه وكانوا ألفا وأربعمائةٍ وقيل وخمسمائة قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[١] فالله –جل وعلا– رضي عن الذين بايعوه تحت الشجرة ورضاه أحله عليهم إلى يوم القيامة، ووعدهم بالجنة وينجيهم من النار بسبب مبايعة النبي عليه الصلاة والسلام على الموت في نصرة دينه وذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان همه الإصلاح والصلح فجاءه الخبر فبعث سفيرا عثمان بن عفان –رضي الله عنه– فجاءه الخبر أنه قد قُتل يعني أن المشركين قد غدروا وقتلوا عثمان فجمع الصحابة وبايعهم تحت الشجرة على نصرة رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى الموت، فبايعوه وكانوا ألف وأربعمائة أو ألف وخمسمائة بين العددين فقال النبي عليه الصلاة والسلام لما بايعوه: "لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ" فكلهم من أهل الجنة –رضي الله عنهم ورضوا عنه– وفي الدرس القادم إن شاء الله تعالى أكمل بقية جواب هذا السؤال والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين.

---

[١] الفتح: ١٨